

المقاربات الخلدونية في تحليل التطور الاجتماعي: رؤية منهجية

Khalidunian approaches in the analysis of social development

Systematic Vision

بن سي قدور عبد القادر، دكتوراه في الدراسات الإستراتيجية.

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية (الجزائر3). kaderspolitique@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ القبول: 2024/05/26

تاريخ الاستلام: 2023/08/28

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تحليل مقاربة ابن خلدون في تفسير نظرية التطور الاجتماعي والحفاظ على النسق السوسيولوجي من منظور الطرح الإبستمولوجي الخلدوني لل عمران البشري، وتشريح العقبات النهضة أمام تحديات العولمة، تتقوى الأفكار الخلدونية في تفسير ما آل إليه التصدع العربي الذي أصبح عاجزا عن حلحلة التنمية الفكرية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الحداثة الذي تراجع فيه مقوم البناء المجتمعي الذي يرسم قوة الدولة الأمة، وضمن هذه الأساس، يتحدد نقاش الدراسة الوقوف على المتغيرات الجديدة للمجتمعات العربية بفعل التراكمات الداخلية ومأزق التحديات الإقليمية والدولية وصولا إلى بعض النتائج المبدئية المتضمنة الحفاظ على الوحدة الاجتماعية والترايبية للدول وترك العصبية السلبية وتمكين عوامل السوسيو اقتصادي والثقافي والأمني.

الكلمات المفتاحية: الهوية- العصبية- القبلية- النظرية الاجتماعية- المنظور الخلدوني.

Abstract :

The study aims to analyze Ibn Khaldun's approach in interpreting the theory of social development and preserving the sociological pattern, from the perspective of the Khalidunian epistemological proposition of human civilization, and to dissect the renaissance obstacles facing the challenges of globalization. Khalidunian ideas are strengthened in explaining what the Arab rift has become, which has become incapable of resolving the intellectual, behavioral, social and economic development in the era of modernity, in which the component of the societal structure that draws the strength of the nation state has declined. Within this foundation, the discussion of the study is determined by standing on the new variables of Arab societies, due to internal accumulations, and the predicament of regional

and international challenges, leading to some initial results, including preserving the social and territorial unity of states, leaving negative nervousness.

Keywords: identity- nervousness- tribal- social theory- Khaldunian perspective.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتمد أدبيات المناهج العلمية ابستمولوجيا التفسير الكيفي للظاهرة السوسيولوجية المتشابكة فكريا وسلوكيا في بلورة الفروض المقترحة في دراسة نظرية العمران التي تعتبر جزءا أساسيا من علم الاجتماع في دراسة تاريخ وثقافة الشعوب، فابن خلدون أبهر فكره بناء أسس الحضارة من حيث التطور والانحيار وتجسيد مراحل تكوينها وقوتها ثم أسباب الضعف التي تكتنفها وأن المجتمع يتقدم وفق قوانين مضبوطة تحدد له إستراتيجية وجوده الدائم في بناء المستقبل.

يبقى الحديث عن إرهاصات تجاذبات عطب التواصل الثقافي والاجتماعي والتصددع وتحييد الخلافات الذي يشهده الوضع العربي في قراءة اتجاهات ومذاهب وعرقيات الحديثة عن ثقافة البداوة والقبيلة والتمدن والتحضر القائمة على صفح الفتن بين شعوب المناطقية تغذيها أجندات وأيديولوجيات خارجية تعتاش على نمط الفوضى الخلاقة، بسبب انعدام القيمة الراشدة والمتطلبات الضرورية المعاصرة في إعادة قراءة تراث وتركة علماء ومفكرين الأمة المعتدلين التي لا تشيخ أفكارهم معرفيا ومنهجيا، وهي من المواضيع التي تفرض نفسها في صناعة العقول المدركة لمسؤوليتها اتجاه وطنها وأمتها بإحياء مواردها المعنوية والمادية للقيام بشروط النهضة المرجوة وهو من مناهج التحليل التي غاصت في عمق العصبية والقبيلة وإبقاءها في حدود مسافات ضيقة فكريا.

رصدت مقدمة عبد الرحمن بن خلدون التأثير الفكري كونها بكورة إنتاج نظرية التطور الاجتماعي التي تبنت أفكار وأعراف مجتمع متأصل بالفطرة واللغة والعقيدة الدينية، ينظر له نموذج ووحدة تحليل مضمون حول مقترب الجماعة كونها غريبة النزعة وعزيزة الفائدة من جهة أخرى، التي تتعلق بموضوع العمران البشري في مختلف أحواله وتتابع أطواره، وبناء على هذا المدخل، تعالج الدراسة إشكالية مركزية ضمن متغيرين أساسيين هما العصبية والقبيلة في المجتمعات العربية المتباينة حسب تشخيص ابن خلدون الذي عايش المناطق العربية وارتحل في أكنافها ومدنها فتجسدت له النظرية المرفقة بالتحليل المنهجي المصطلح عليه بالمنهج الخلدوني، وبناء عليه تتحدد الإشكالية الرئيسية التالية للدراسة:

- كيف يمكن تقييم متغير العصبية والقبيلة وتشخيص التحديات المعاصرة للإختلالات السوسيو- ثقافية والأمنية وجيوسياسية حسب المنهج الخلدوني؟.

وللإجابة على عمق الإشكالية المركزية نتبنى الفرضية الرئيسية التالية:

- تبني الرؤية الفكرية النهضوية بتبني المرجعيات التاريخية والتحقق العلمي من هوية العصبية والقبيلة والعمران كمصدر للحصانة السوسيو- الثقافية والأمنية والتكيف مع المستجدات المعاصرة من أجل التكفل بالموارد البشرية وإدامة التنمية المستدامة.

أهداف الدراسة: تتحدد أهداف الدراسة في العناصر التالية:

- تحديد مفهوم متغير العصبية والقبيلية وتحليل خلفيته التاريخية مع متطلبات بناء الأمة في ظل التحديات المعاصرة، كما تهدف الدراسة إلى تأهيل أطروحات نظرية التطور الاجتماعي لابن خلدون في بناء الحضارة المتضمنة نظرية العمران البشري، وصولاً إلى أهمية متغير الهوية وارتباطها بالعمليات السياسية للأفراد والجماعات ومدى انتماءاتهم في جميع اللحمة وطنياً في عناصره الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية بمنظورها القومي.

مناهج الدراسة: اعتمد ابن خلدون في دراسته عن العصبية والقبيلة والعمران على المنهج التاريخي والمنهج المقارن، حيث ركز على البعد التاريخي للعصبية قبل وبعد الميلاد وأعطاهما زخما قويا في بناء الدولة والإنسان إنطلاقا من البيئة المتعصبة للنصرة والجماعة بمفهوم إسلامي بعنصرية وطفرة معرفية أهلتها أن يكون فارس زمانه، أما المنهج المقارن عالج فيه ابن خلدون أصل البداوة في بناء الحضارة والعمران تاريخيا وأساس الاختلاف وارتباط طبيعة الريف مع المدينة دراسة انتروبولوجية توسع المفاهيم ومدى غرسها وتأكيدا ايجابيا في المجتمع المعاصر.

وللإجابة عن الإشكالية والتأكد من صحة الفرضية تتناول الدراسة هيكل المحاور التالية:

- المفاهيم الإدراكية لمجتمعات المغرب العربي.
- المجتمعات العربية وفق منظور المقاربة الخلدونية.
- المناهج الاجتماعية المعاصرة ومرجعية الرؤية الخلدونية.

2. المفاهيم الإدراكية لمجتمعات المغرب العربي.

استعملت كلمة العمران في مقدمة ابن خلدون على مرجعية المصدر لكي تشمل الجانب المادي والمعنوي كونها تفيد الشمول والعظمة وكلمة العمران في أصلها يقصد بها الاعتماد، أما اصطلاحا فتعني اجتماع الناس وتكتلهم جماعات بطبيعة جبلة فيهم وهي الميل إلى الاجتماع ونفرة الافتراق، وخلص ابن خلدون في كتاب المقدمة أن العمران البشري هو المقياس المثالي لفهم التاريخ وفهم المجتمعات والتنبؤ بمستقبلها، (شواكري، 2013- 2014، ص ص55)، ثم ذكر إجرائية دراسة العمران البشري والإجتماع الإنساني بقوله: "اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبية وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر

بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال" وهو بذلك يخضع ابن خلدون طبيعة المجتمع الانساني إلى قانون الطبيعة أي حتمية العلم في كل شيء (ابن خلدون، ب.ت، ص 26)، ومن جهة يرى ابن خلدون أن طبيعة التمدن التي هي راس بناء الحضارة التي تكلف تجسيد بناء الإدارة التي تهتم بشؤون العامة، فدراسة العصبية والقرابة من خلال الحياة الحضرية والريفية يريها ابن خلدون اهتمام أساسي بمفهومها الجمعي لأنها تمثل ديناميكيات أساسية في بناء السلطة والتي تشكل الوحدة الاقتصادية النموذجية وأنها مجموعة متحدة بشكل وثيق من أصل مشترك تعنى بالتضامن والتلاحم الاجتماعي التي يتمثل اهتمامها في البقاء والإستمرارية، فالدفاع عن الأمن الوجودي هو مهمة الجماعة الذي يعتمد بدوره على القيمة المركزية في تحديد المكونات البنوية السوسيولوجية التي تشكل حجر الزاوية في علم العمران المعاصر (Mohamed, 1994, pp 105-110)، فدراسة التاريخ بمنهجه العلمي عند ابن خلدون هو فن عرض أخبار السوابق من العمران لأنه يتيح تتبع مراحل التطور البشري من الأشكال البسيطة إلى نمط التعقيد وصولاً إلى مرحلة النمو والإدراك، أما من كونه علماً قائماً بقواعده ومنهجه يقول في ذلك ابن خلدون: "وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبائدها ودقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق" (عواطف، 2018، ص 201).

شكلت العوامل الخاصة لابن خلدون توجيه الاهتمامات وكشف الإشكاليات المعنية بالموضوعات الحيوية الذي كان بعيد النظر في أفكاره ودقيق الرؤية التي مازالت محل دراسة ومعاينة أكاديميا في بناء الإنسان والأمة، وتثبيت الهوية والحفاظ على الموروث التاريخي والثقافي من كل مصادر التشويه والتهديد وهو موقف إما لندرة المعلومات الدقيقة أو اختلاف المناهج والرؤى حول طبيعة العصبية والقبيلة في رسم نمط العيش السوسيولوجي الذي واكب مجتمعات المغرب العربي في الفترة التاريخية التي عايشها ابن خلدون، وهذه

الفلسفة ترافع عن الفعل الموجب للتطور وتستدعي ضرورة تبديل تصوراتنا للواقع التي تأسست على أثرها النظرية الخلدونية الذي عدّ أول من أخضع الظاهرة الاجتماعية لمنهج علمي صحيح بعبقرية وطفرة معرفية، وبزوغ تنبؤاته نحو الحقائق الثابتة لأحوال الناس وطبائع البشر التي جسدت التمعن في دراسة أحوال الشعوب وتلخيص حياة الدول وما وصل إليه من تطور وتوسع ثم اضمحلال وتراجع التي أحدثت ثورة فكرية انتقت المنهج الذي اصطلح عليه "المنهج الخلدوني" في الجرح والتعديل من أجل بلوغ منهج التعديل والتأويل والتفسير وسبر غور المعاني التي لاحقت أزمات والمجتمعات بفعل تركة مخلفات الاستعمار الغربي، واتبعه الاستعمار الفكري الذي يعد أخطر الاستعمارات على الأفراد والمجتمعات المضاف له التطرف الفكري "الديني" البعيد كلياً عن ديننا وأعرافنا، مقاربات قابلها تردي نظام الرفاه الاجتماعي في إشباع حاجاته الأساسية من حيث الملبس والطعام والأمن العام والشامل وتهميش الموارد البشرية والمأوى وتأمينها للأجيال المتلاحقة، التي تستغلها القوى الكبرى ملجأ تتسلل منه بذرائع إنسانية من أجل ترويج وهم الديمقراطية وفرض قيم بعيدة عن أخلاقنا وأعرافنا أو تفجير الاستقرار الأمني والمعيشي بوسائل الفوضى والعقوبات الاقتصادية غير القانونية التي أسقطت ذاتية الوجود العربي بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 وصولاً إلى أحداث 2011 مؤثر تفقد بسببه النظريات مرجعيتها ومصادقيتها من المعرفة والتعلم والتدريس في أخلقة الحضارة وهي التي أثّرت على استمرار كمال النظرية الخلدونية في واقعنا العربي. (محمود اسماعيل، 2009، ص ص 17-21).

تترجم العصبية على أنها روح العشيرة أي عمق المجتمع المتماسك روحياً وعقائدياً وسلوكياً كونها مرتبطة ذهنياً مع بيئتها وأنها رأس المال الاجتماعي، وتشير إلى القوة النفسية التي توحد أفراد العائلة والعشيرة أي بالتحليل المعاصر توحيد المصلحة العامة في خلق قنوات اتصالية مندمجة برابط أخلاقي يقوي امكانية الوصول إلى السلطة وإدارة الحكم أو الملك، (Nabila, 2011, p114)، نشأت فكرة العصبية والقبيلة عند ابن خلدون بناء على

الاحتكاك القريب من المجتمعات التي عايشها وتنقل في أرجائها بممارسته السلطة والاندماج البيئي معهم خاصة في المنطقة المغاربية في فهم تباين التوجهات والأفكار التي قوّت قدرة إدراكاته العقلانية في تشخيص أسباب تعقيدات المجتمع وأعراضه الجانبية بالتدوين والكتابة كما هو مدون في المقدمة التي وضع فيها علمه الجديد علم العمران البشري، فالعصبية يولمها ابن خلدون عناية كبيرة بسبب تأثيراتها في المجتمعات القديمة قبل الإسلام وكونها من رواسب الماضي المتحجر بالركود والجمود الحضاري أي منذ تواجد الرومان في المنطقة، لكنه أعطى فكرة العصبية زخما قويا في بناء الدولة والإنسان والخصائص المتعلقة بها إنطلاقا من البيئة المتعصبة للنصرة والجماعة والرأي بمفهوم إسلامي التي برزت أوتادها في المنطقة العربية وهي نصرة عصبته، والمتعصب للشئ يعني الميل الشديد إليه وهو بذلك يسخر عقله لهواه وهو نقيض التحرر النفسي وعدم قابلية الآخر مثل العفو والتسامح، هذا المنظور العام يبيّن النظرية الخلدونية في التنقيب عن مصادر الفجوة السوسولوجية للمجتمعات في اشتباكها الطائفي والتعصب للجغرافية القطرية الضيقة(زايد، 2006، ص 55).

لا مرأ ولا ريب أن مفاهيم الهوية مرتبطة بالذات وتحقيق عقيدة الانتماء واللغة والثقافة والحضارة والأعراف وأنساق مختلفة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي تجسيد حيوي في ذاكرة الفرد التي ترتبط بشكل أساسي بواقعه وتزيد في إدراكات التثقيف وتنمية أفكاره واكتشاف مواهبه ورفع سلوكات القدرة الوظيفية في نموه التعليمي الذي يقوي حق المشاركة السياسية في ظل تعدد شرائح وثقافات مختلفة في المجتمع الواحد مثل العراق وسوريا ولبنان، وأشكال مؤسسة التنشئة الاجتماعية التي تؤسس له معايير قيمية بعيدا عن التفاهات في الحفاظ على الموروث الجمعي للأعراف والاندماج الإيجابي الداخلي والتواصل بحذر مع الثقافات الخارجية إذا كانت تلبّي حاجتنا وتنمي الوظائف المرغوبة وتنتج أسلوب حضاري يزيد في تطوير قدرة تجميع اللحمة وازدياد الوعي وتعزيز القدرة الإنتاجية للإقتصاد

والتنوع الصناعي وتجسيد المنطق الأمني والجغرافي الذي عبر عليه مالك بن نبي في قوله: "إن الإنتاج الاجتماعي يرتقي بقدر ما يكون النشاط الفردي موجها لسد حاجات غير فردية أي موجها لمصلحة عامة"، وهو مسار خطه كذلك المفكر هابرماس Habermas الذي يرى: "أن خطاب الهوية تفاعلا ذاتيا يكشف في أرقى منازلها الثراء الإنساني وهذا رهين أن يكون مرتبط ارتباطا عضويا مع مختلف الفاعلين وموسوم بشكل واسع من القبول المجتمعي"، فالتشريح العلمي المؤسس على مجموعة أنساق من المناهج المعرفية يشكل كينونة الإسهام في دعم كل أنواع أشكال الانسجام والسلم والاستقرار الداخلي في الدولة المرتبطة بالمشروعية السياسية والقانونية وتأسيس الثقيف السياسي والاجتماعي المرتبط بدوره بالعامل الاقتصادي وتطوير طفرة الوسائل التقنية للتطور التكنولوجي في زمن الثورة المعلوماتية. (حامي، 2017، ص ص 54-55).

3. المجتمعات العربية وفق منظور المقاربة الخلدونية.

قبل الغوص في النظرية الاجتماعية الخلدونية يجب الوقوف باقتضاب في إشكالية العلاقات الثقافية بين المجتمعات العربية التي تنبع من عناصر واحدة كالدين واللغة والقيم والعادات والأعراف والعروبة والتحديات المشتركة، لكن عامل التجزئة السياسية التي شهدها المشرق العربي عموما والمغرب العربي خصوصا وتداولها على عدة استعمارات غربية نتج عنها مضاعفات سلبية على الأوضاع السوسيو ثقافية بعد استقلالها التي حكمتها أنظمة سياسية بأيديولوجية حديثة لم تتقاطع نظريا ومنهجيا مع المنتج الفكري والمكون المحلي، إذ خلقت ثقافات لا تكمل بعضها البعض بل تتعارض في كثير من خطابها وتوجهاتها وتكوينها، مثل الأنظمة الاشتراكية والعلمانية وتصدير القيم الرأسمالية والأيديولوجيات الخارجية ومعانات الإستلاب الخارجي التي أثّرت نتائجها على بعض قيمنا ومبادئنا وصولا إلى الواقع المتسلط للعولمة المعاصرة وصراع الحضارات، الفارق الذي نلاحظه عند دراسة الثقافة والهوية التاريخية ودرجة التعليم عند المشاركة ودول شمال إفريقيا هو أن المشرق العربي

تبنى القومية العربية على أساس علماني إبان مرحلة الاستعمار، أما دول شمال إفريقيا تأصلت فيه العروبة بالمؤسسة الدينية التي حاولت ترجمة وجودها السلوكي والحضاري بعد انتهاء الاستعمار المادي الذي لم يتسع لها تجسيد ميدانيا وروحيا وبنويا ووظيفيا مكتفية التأثير على تفاعل الفرد سوسيولوجيا بالرغم القيادة التي كانت تزخر بها النخب والمؤسسات الثقافية والدينية التي عجزت على ترجمة التواصل مع المجتمع، وكان الطابع على هذه المؤسسات أفقيا دينيا بحكم الفطرة والعقيدة التي تواكبت عن طريق التعريف بالشخصية العربية، (عبد الملك، 2013، ص ص 193-196).

إن استمرار تبلور عملية التكامل والتخفيف من الانتقائية المفرطة يضفي قيمة الإبداع الثقافي الذي يستلزم استنارة مخرجات المؤسسات الثقافية والتعليمية الرسمية أي انتهاج إستراتيجية مبنية على مناهج علمية تحول الإنتاج الفكري والفني والتقني المندرج تحت وسائل الغرس الثقافي المحلي بدل ثقافة الاستهلاك الذي يعيق تطور فكر الفرد وصناعة مقوماته التكوينية كنهج جديد وصياغة غير مسبوقة وغير مألوفة في فنون القول والسلوك والوعي والإدراك وتغيب ترجيح فقه الأولويات كحاجة ملحة ينشدها الضمير الإنساني في خدمة الأمن المجتمعي العربي الذي يشكل العلاقات الاجتماعية المرجوة، هذا النمط لا يبتعد عن القواعد والمناهج المتطورة التي تسير التقدم والتطور العلمي التكنولوجي الحاصل في العالم الذي يضفي العناصر الجديدة مثل إلزام ضبط الوحدة واحترام الآخر مشبع بقيمة مضافة وهي استحداث نهجا مبتكرا يزيد في نمو عالم الأفكار الذي طرح كمقاربة من طرف مالك بن نبي في خلق سرحا ومكانة وظيفية تقوي رفع قيمة الموارد البشرية مثل القطاع الصحي الهندسة المعمارية الفيزياء والمجال الطاقوي السياحة الفن، الصناعة التي تزيد في خلق بيئة أساسية ترفع من منسوب التشغيل وتساهم في بناء الأمن الشامل وإحداث تنمية مستدامة تسير في فلك الحكم الراشد المبني على الديمقراطية بحلة قيمية وطنية تعني بالتنمية البشرية والكوادر العلمية في كل المستويات خاصة التكنولوجيا المتطورة والذكاء

الاصطناعي وآلية الرقمنة الديمغرافية كونه رأس المال الإنساني الفعلي القابل للدراسة والتأهيل وهو الزواج الذي تكلم عنه عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة كما جاء في قوله: "فإذا عظم عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الآلات بكثرة الأعمال... وكثرة الصناعات إلى أن تبلغ غايتها.."، من خلال التركيز على فهم تكوين وصناعة الفرد يؤمن بقيادة نفسه بدءاً من بيئته العائلية ومؤسساته التعليمية والأكاديمية والدينية وأخلاقية الإعلام الهادف الذي يخاطبه بلغة رشيدة عنوانها "الأمن والهوية معادل التنمية المستدامة" يجعله يقتنع بلغة الانتماء الذي يخلق تفسير مضامين السوسيو- ثقافية كمتغيرات المنتج الأساسي لعوامل الاستقرار في المجالات الإنتاجية المتنوعة قابلة للمنافسة مثل مجال الإبداع والابتكار والفلاحة والتجارة والصناعة وأهمية السياحة كاققتصاد خدماتي مضاف لوسائل الإنتاج للأمن القومي، أنماط تعد عوامل أساسية في اختزال مسافة الزمن والانتقال الثقافي بالوسائل التي لا تناقض مرجعيته التراثية والتاريخية والدينية وعصبته البيئية حتى تصبح واقعا فعليا حسب طرح مارك جيه شوارتز Mark J schwartz، وبذلك تصبح نظرية الانتشار الثقافي لألفريد كروبر Alfred Croppe إحدى أهم النظريات في مجال علم النفس الاجتماعي التي تتناول فكرة انتقال العادات والتقاليد والأفكار واللغات من مجتمع إلى مجتمع من دولة إلى دولة أو من حضارة إلى حضارة يؤكد واقع متغير الاختراق التي فسرتة نظرية مركب الأمن الإقليمي كخاصية للمجتمعات المحدثّة، الذي يديره نخب ذوي المكانة التأهيلية في المجتمع يقومون بترشيد الأدوار الوظيفية بأبعادها الهامة في تقدير حجم التحديات والعمل على تجاوزها وتتوفر فيهم أنواع القدرة والمهارات في خلق حلول طارئة لأزمات قائمة مما يساعد على نقل الأفكار بطريقة ناعمة ومتسلسلة نحو الأفضل والأحسن (طبعة، حدادو، 2021، ص ص 445-450)، وبذلك تعتبر الهوية الاجتماعية من القضايا التي يتم الاهتمام بها على المستوى السياسي لأنها عنصر رئيسي في تحديد مدلول الفعل واتجاهه والعمل على تطويره والرهانات المتعلقة به حاضرا ومستقبلا لأنها محصلة تحولات في بناء مسار أمة وتجسيد ثقافة سياسية

مركزية في الدولة تسعى من خلالها إلى بلورة هوية سياسية تحدد تصورات ومبادئ ومفهوم الهوية الوطنية تكون محورا إستراتيجيا للإجماع القومي، فالدراسات والأبحاث التي تميزت باقترايات مختلفة نظرا لتعدد مستوى المفاهيم الذي يتم فيه تحليل الهوية والمجتمع والقيم، فعلى مستوى الفرد تتحدد الهوية في جانبه السيكلولوجي الذي يهتم بالبعد الإدراكي والعاطفي والموقفي لأفراد، وعلى المستوى الجماعي تظهر التشكيلات الاجتماعية والأبنية وهنا تسود الدراسات المسحية والكمية والإستطلاعية والعينات المؤثرة في تجسيد أهمية البعد الهوياتي في الاستقرار والسلم الأهلي ومنه ينبنى قيمة تطور الإنسان ومدى حجم انتماءاته الأخلاقية، ويعد المستوى القومي الإهتمام بالهوية الوطنية وعلاقاتها الوطيدة في بناء الدولة والحفاظ على مكتسبات الأمة. (موزاي، لبيد، 2020، ص ص 52-54).

فالعناصر الرئيسية في مواجهة العقبات وتحليل القضايا التي تدار بصورة غير تقليدية في الحياة اليومية للمواطن العربي في تطوره المعماري والعمراني هي الثالوث المعقد وهي تحديد المواطنة والهوية والعولمة متشابكة تتموقع في دوائر متقاطعة يستحيل فصلها وتتحكم في قرارات وتوجهات التنمية والتطور ومشاريع التحديث، أي إحداث شروط النهضة الفكرية والسلوكية وإشباعها بالوطنية والتاريخ من خلال التعامل مع النص التراثي كمقاربة تحديثية دون المساس به وبشرعيته، ونعني بالهوية مجموعة الخصائص التي تميز جماعة من الجماعات بتنوع الأمم والشعوب والقبائل والهوية يحددها الشعور بالانتماء الوجودي الأساس العميق للإنسان العربي من خلال الإنجازات الحضارية وتحقيق العمران وفق نظرية الهوية الاجتماعية من منظور قابلية تطور الذات والسلوك كما صرح بها. تاجفيل و تيرنر Tajfel et Turner، ومن منظور علم الاجتماع الحديث تتكون الهوية من مكونات مادية منها اللغة والملابس والأزياء والتراث المعماري والمأكل والمشرب أي الرفاه الاجتماعي والقدرة الشرائية المنبثقة عن القوة الاقتصادية وطبيعة الملك والعمران المستحدث، والجانب الآخر منها يتمثل في الدين والثقافة والعادات والتقاليد والأعراف والقيم والأخلاق، وتأسيسا على

هذا النموذج تصبح الهوية بناء فكري وهي المرجعية الوطنية للدولة وأسس العقائدية والحياتية للمجتمع الذي له ذاتية قابلة لشروط النهضة العلمية والسلوكية والحضارية وخلق مسار استشرافي للتنمية المستدامة من خلال الإنجازات للتطور في مجالاته الإبداعية والصناعية وحرفية وفنية وتكنولوجية فهذه العناصر المنهجية المتبعة تزيد في الاندماج الاجتماعي لكي تتبوأ مركز الصدارة مع باقي الدول المتقدمة (عبد الرؤوف علي، 2014، ص ص 44-43).

فتألق الفكر العربي وإبداع لغة التواصل وتبادل الخبرات والتخصصات ترتقي كأساس للبناء والدخول في حظيرة الكتلة والوحدة من خلال النضال الثقافي المشترك سواء انحصر قطريا أو جماعيا في ميادين كثيرة التي تواجه حاضره ومستقبله بجانب التأطير الروحي والفكري المتفوق والمؤهل المتعدد والمتنوع، لا يتوقف فقط التصدي للأخطار التي تهدد الأمن المجتمعي داخليا للفرد بل يتوسع التفكير العميق في البناء الواقع مع العالم الخارجي الذي يؤكد منهجنا الحضاري واستقلاليتنا وقدرة الذاتية والاقتصادية بعيدا عن الخشونة وتهميش الرأي الآخر والتعصب والعداء المتبادل وفقدان الانضباط كونها من ميثبات القعود إلى الخلف كما قال مالك بن نبي "أن المجتمع الذي يفكر بواقع القبيلة لا ينظر إلى البعيد"، وبناء على هذا، يمكن أن نوجه مقوماتنا التي بناها علمائنا ومفكرينا وقادتنا حتى نصل إلى تصدير النموذج الإنساني والدولاتي وأفكارنا أمام العالم الآخر التي تقويه إرادتنا الرسمية ونصوصنا الدينية ومرجعيتنا التاريخية والهوياتية على فهم الوسطية والاعتدال كمبدأ في تحصين القلعة الاجتماعية والترويج إلى دورها الكبير في نشر الثقافة المحلية وتحديد معالمها المتضمنة الجوانب الاقتصادية والصناعية والسياسية والفنية والأدبية والرياضية والفنية والفواعل الأخرى مثل مؤسسة المنظمات العربية ومنظمة اليونسكو ومنظمة الاتحاد الإفريقي وغيرها، فالمجتمعات العربية مطالبة إلى اعتقاد القابلية نحو التغيير الذهنيات وإعادة تكوين وتأهيل ذاتية الفرد إلى فهم المواطنة تكويننا ذهنيا ونفسيا

صحيحا وأخلاقيا وثقافيا وانطولوجيا متجنباً العوائق والانقسامات وعدم إهانة الرموز الوطنية وتجميع لحمة الوحدة الوطنية تحت هوية واحدة والتحذير من مصادر تهديدات التطرف الفكري الذي يقابله الأمن الفكري وإثارة الإشكاليات التي تتعلق بالتطرف والأيدولوجيات الخارجية والمطبات الفاسدة الذي يبرز مقاومة عوامل الضعف والجمود داخل إقليم المجتمع، الذي يساعد في معالجة العادات والمعتقدات وتطعيمها بمفاهيم وممارسات أخلاقية معاصرة بسلوك واعي وإدراكي في صناعة القرار السليم كما تمليه أفكار النظرية العقلانية في اتخاذ القرار التي هي رصيد علمي من النظرية الخلدونية التي توظف الحوكمة والبصيرة الثاقبة للقضايا والأمور والأزمات والمشكلات، فالجزائر نموذج فاعل برزت بقرارها السيادي في القضايا الإقليمية والدولية متجاوزة الأزمات الداخلية الضغوطات الخارجية مرحليا مستغلة الظروف الجيوسياسية في تحقيق مكاسبها الاقتصادية والمجتمعية والأمنية التي جسدت استراتيجيا توافق مصالحها القومية والتكيف مع متطلبات التغيرات الداخلية التي تنهي قدراتها الذاتية أساسها القوة الوطنية الشاملة بما فيها القوة العسكرية كقيمة مضافة للفرد والمجتمع الجزائري (محمد الحسن، 2014، ص ص 28-51).

ابن خلدون لا يرى قيام الحياة الاجتماعية إلا بالدولة، ويقول: "الدولة والمملك والعمران (أي الاجتماع) بمثابة الصورة للمادة القابلة للتحليل والتفسير وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن تفكيك أحدهما عن الآخر، فالدولة دون العمران (الاجتماع- المجتمع) لا تُتصور، والعُمران دون الدولة والمملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع الذي يجمعهم وهو الدين والردع القانوني كما سماه ابن خلدون السلطان القاهر والاهتمام بالتنمية البشرية والتعليم والأمن الصحي لأن مهمة الدولة حماية المجتمع وأفراده من كل مخاطر ومصادر التهديد لوجوده، ولاحظ ابن خلدون أن الدول تمر بعدة تطورات من ناحيتين هما: الأحوال العامة من السياسية والاقتصاد والعمران والأخلاق، والتطورات التي تحدث من ناحية العظمة والقوة والاتساع

ويقرر أن كل دولة تنتقل بين خمسة أطوار هي: الظفر، والانفراد بالمجد، ثم الفراغ والدعة، ثم طور القنوع والمسالمة ثم الإسراف والتبذير، ويربط ابن خلدون أطوار الدولة الخمسة بثلاثة أجيال فقط، فالجيل الأول يقوم بعملية البناء والعناية، والجيل الثاني يسير على خطى الجيل الأول من التقليد وعدم الحيد في الحفاظ على المكتسبات والقيم البارزة للبقاء والاستمرارية، أما الجيل الأخير فيمكن تسميته بالجيل الهادم الذي يهدم الأعراف والثقافة والحضارة التي أنتجوها الأجداد والآباء وهي من تجارب وخبرات التاريخ، وما نلاحظه من تمرد على قوانين الأسرة والمجتمع والتأثر بأنواع الأفكار وأنواع المخدرات المهدمة لبناء العقل والسلوك والذات يعكس واقعياً الانهزام النفسي والروحي مضامين تدل على غياب المكتسبات لدى عنصر الشباب الذي نطمح أن يكون رافعة النجاح الفعلي لمجتمعه في بناء سرح وجوده إذا استثمر فيه بالوسائل التي تؤهله إلى الابتكار والإبداع والقيادة كما وصفه عبد الحميد بن باديس "يا نشأ أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب" فابن خلدون يرى أن المسلمات تخضع لقوانين الحياة وقوانين متطلبات التطور تتحكم في الموارد البشرية في تحقيق التنمية المستدامة (شعبان أيوب، 2019، ب ص).

4. المناهج الاجتماعية المعاصرة ومرجعية الرؤية الخلدونية.

النظرية الخلدونية وفق مبدأ النهضة والتقدم عالجت سلوكات الواقع العربي ثاقبة بتنبؤاته بأن العصبية اللاحقة إذا قدر لها الفهم الصحيح تحافظ على وجدانها ووجودها الذي يحقق لها الأمن والتنمية في بيئتها الإستراتيجية في عالم تزداد فيه التحديات ومصادر تهديد الأمن المجتمعي وتغير مفهوم التكتل والتحالفات الجديدة، فالفوضى الخلاقة التي مسّت المنطقة العربية في 2011 تكلم عنها ابن خلدون على أساس إدكاء الفتن والنعرات الطائفية والأيدولوجية البعيدة عن المعتقدات والأعراف المحلية لأنها تزيد في تفكك وتصعد العمران البشري "البنية التحتية" وتمزق هويته وحضارته تستدعي الوقوف عليها جلياً حينما

أكد أن العصبية والقبائلية مصدرها تراكم التخلف ومحدودية النظر عن بعد، فعلم الاجتماع المعاصر يؤكد تجسيد الفعل الموجب للتنبيه ما وصل إليه ابن خلدون أن الحفاظ على المجتمعات والعمران البشري منطلقه الدولة وتماسكها بوجود العصبية بهوية واحدة والابتعاد عن الولاء للقبيلة وأن الامتداد المكاني والزمني لحكم عصبية (فئة) ما، تقوم" على الدين أو الولاء أو الفكر المشترك أو القومية أو ما إلى ذلك من مشتركات تصلح انطلاقا لبناء المجتمع ومقوماته واستمراره ما يصطلح عليه "المجتمع المدني ودور النخب فيه بالعصبية القوية" يكون تمهيد في تقوية عضد الدولة بالحفاظ على رمزية تاريخ الأمة وهويته والمنظومة الثقافية المحلية وحمايتها من الاستلاب" ولا تقوم العصبية إلا بالركون إلى المجتمع أو بمصطلح ابن خلدون "العمران"(شعبان أيوب، 2019، ب. ص).

طرحنا التطورات الأمنية والسياسية والاجتماعية والثقافية في الوطن العربي تحديات أمنية جديدة تخطت حدود مفهمة الأمن التقليدي للأمن القومي داخليا وخارجيا، والمحددة أساسا في بروز مصادر العطب الأمني المانعة للتطور الإنساني والتواصل الإيجابي بين شرائح المجتمع الواحد من داخل البيئات المحلية للمجتمعات بدل القادمة من البيئة الخارجية الذي لعب فيه خطاب الكراهية دور سلبي بالمصفوفة الاجتماعية، حيث أصبحت الدول العربية مهددة من داخلها بالتفكك الجغرافي والتمزق السوسولوجي وتنامي الصراعات متعددة الخواص عبر الحدود وهي الخاصية المميزة والجديدة لمصادر العطب المجتمعي المنبثقة من المستوى المحلي كما فسرتها نظرية مركب الأمن الإقليمي حيث تندفق بسرعة عبر المستوى الوطني والإقليمي والعالمي،(عامر، 2015، ص 5)، وهي نفس الرؤية التي طرحها لورد شستر لفيد chesterlvid بأن المعرفة والإطلاع على الواقع يكون بالمعرفة التي تخضع لمعايير التنقيح والترشيد، لكن المعرفة الأكثر أهمية هي التي تتعلق بمعرفتنا بما يحيط بنا ولا يمكن اكتسابها إلا بمفهومنا للآخرين واستيعابنا لكافة أشكال الشخصيات الإنسانية واكتساب كافة مهارات تفسير الإيماءات، لأن الانسجام في السلوكات يعطينا هيكلا تبنى عليه الأفعال الإنسانية المستحسنة وبالتالي تصبح عملية أكثر دينامية في الاتصال الجمعي المبني على

التفكير الواعي والشعور العاطفي الحقيقي (هنري، 2005، ص7)، كما صاغ كل من تاجفيل Tagvile وتيرنر Turner مجموعة من المقاربات والأفكار تحت مسمى نظرية الهوية الاجتماعية التي تميزت عن باقي نظريات علم الاجتماع في نشر الثقافة الاتصالية بكافة أشكالها من أجل خلق إدراك ووعي متميز ومنضبط قادر على مواجهة المتغيرات العصرية وتجاوزها التي أصبحت دافعا مهما في علم النفس والتميز الإيجابي لتحقيق هوية مشبعة بقيم المنتج المحلي بدل استيراد الاستهلاك الخارجي، فالعلاقات العامة معتمدة على التوجهات المقاربات النسقية لإيجاد الثقة بين فصائل المجتمع المدني والتي تقوم على توجهات وإرشادات نخبوية ومؤسسية مترابطة في ترسيخ الثقة في التفاوض المعقد والدائم بين المكونات الفكرية للجماعة الواحدة التي جعلها شرط ضروري ابن خلدون نحو الحفاظ على الفرد والعمران من التخريب والانحيار (زايد، 2006، ص 7).

القيمة الثقيلة في هذا المنظور تكمن في ثقل منظومة التربية والتعليم والتعليم العالي والبحث العلمي أنها مصير ضروري في بناء الإنسان والمجتمعات وتطوير المؤسسات وهي العقلانية المعتمدة ما يعتقد اعتقادا جازما لا ينكره أحدا أنه قطاعا استراتيجيا، ذلك أن إعداد الموارد البشرية ومناهج التدريس ونتاج الكفاءات يلبي دون ريب احتياجات المجتمع ومتطلبات التنمية المستدامة والتطور الذي يستفيد منها الفرد الذي يركز عليه مدار النجاحات المنتظرة ضمن تخصص تنمية الموارد البشرية، الذي يجب تأهيله ذاتيا وموضوعيا للقيام بمهامه وتنشئته وتحضيره للعيش والتعايش مع واقعه الذي يتغير بسرعة بسبب تأثير مصطلحات العولمة والثورة التكنولوجية والتحول الرقمي التي أفرزت تعدد سرعة الأفكار، ومن هذا الاعتقاد يتضح أن القيام بهيكل الأمة هو النهوض بأي إقلاع نوعي مبني على مناهج علمية وهذا لا يستقيم إلا إلا ببناء الإنسان المتوازن المدرك للمسؤولية والقادر على أداء الواجبات والذي يتحدد أنثروبولوجيا في عنصر الشباب الذي يعد ثروة محركة لعنصر الحياة، (مزيان، تيلوين، 2002، ص ص 24-25). فنظرية التبعية المتزايدة

تؤكد أن التطور الشامل لدول العالم الثالث يبقى فقط تقديم الخدمات والحاجات الاستهلاكية دون إعطاءه الصفات التي كانت وراء انتاجها وابتكارها، فالتربية الوطنية حسب جون ديوي باعتبارها مجموعة العمليات التي تنقل بواسطتها مجموعة بشرية سلطتها وأهدافها المنجزة أو في طريق الإنجاز إلى الجيل اللاحق وذلك بهدف ضمان بقائها ووجودها المتميز وصون استمراره وتطوره، وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف آلن Alain "ليس العالم كما هو في الواقع ولكن كما أراه أنا"، فتكيف أهداف التربية والتعليم ووسائلها ومناهجها مع متطلبات حياة الفرد من خلال ربطها بالتقدم العلمي والتقني والنفسي والاجتماعي ومواكبة تطوراته الجديدة واستغلال قدرة الذكاء الإصطناعي في مجال التكوين الحقيقي للطفل والرجل والمرأة والمجتمع والمثقف على حدّ سواء لا ريب أنها إسناد يحوز على منظومة أخلاقية متكاملة تتناغم على قدر كبير من المرونة وأن تكون مواكبة لأي تطور يحتاجه الفرد والمجتمع معا في المستقبل (مزيان، تيلوين، 2002، ص ص 29-32).

أصبح من الضروري اكتساب الرؤية الثاقبة والحصافة نحو تجسيد المرجعية المعرفية للمقاربة التاريخية للمنطقة العربية والرجوع إلى الأعراف الاجتماعية المؤصلة لمواجهة التحديات التي لازمت تهديدات الفرد ومستوياته فالعلوم الإنسانية والاجتماعية داخل مجتمعاتنا العربية تعاني من أزمة تنظير حقيقية أهمها الاعتماد الغربية وأن ابن خلدون يمثل حلقة نوعية في تاريخ الفكر السوسيولوجي حتى أطلق المفكرين الغربيين على كتاب المقدمة بالمعجزة العربية، فمتطلبات استمرار المجتمع وإدامة صيرورته واستقرار حاجياته اليومية وتحصينه من ثقافة تدمير الذات يبدأ بتوفير وسائل الإشباع العامة وتحصينه من الوسائل التكنولوجية المعقدة مثل المخاطر السيبرانية والإعلام الجديد والأيديولوجيات وتصادم المذاهب التي تخترق حدود المجتمع والعقول والبيوت خاصة شريحة الشباب الذي هو مصدر ثروة وطاقة الأمة المحركة لحركة الحياة، وما يميز نظرية ابن خلدون كمنهج تحليلي للمجتمعات العربية أنه سايهرهم وعایشهم وارتحل بينهم لسنين

حيث قادته ملاحظته العلمية العميقة إلى تطوير مفهوم مثير للاهتمام للحضارة العالمية من خلال فصول المقدمة واستحكام مراحلها كمقاربة علمية معظمها قابل للاختبار والتطبيق الإمبريقي في كل زمان ومكان، وبالتالي سيظل تراث الفكر الخلدوني من حيث توظيف المفاهيم المناسبة التي تتماشى مع التغيرات المعاصرة في منافسة متقدمة للأجيال اللاحقة حجة في نظر الباحثين سواء الغربيين أو العرب في كل ما يتعلق الاهتمام بالحياة اليومية والتحديات المستقبلية وستظل مقارنته ورؤيته الواردة في كتاب المقدمة طلائع السرح المعرفي والعلمي في تحليل ذهنية المجتمعات النفسية والذهنية القابلة للتنمية والاستمرار في ظل تفكك الدول وسقوط الدول تحت مسمى "الربيع العربي" الذي كسر عمران البنية التحتية وإعادة خلق مفهوم الفوضى الخلاقة الذي أستبجح فيها تدمير وتحطيم الأمن المجتمعي(بن فرج الله، 2017، ص ص 7-8)،

وبناء عليه، فإن نموذج الوظيفة السوسولوجية ترى أن الأمن المجتمعي يتطلب فكرة النظام التي تتوجب تسهيل عملية التفاعل المتبادل الذي يضمن التطور حسب نظرية مبدأ الانتشار من أجل أداء الوظائف وإشباع الحاجات الفردية الاقتصادية، على افتراض أن المجتمع يلجأ عبر فترات تطوره إلى تنظيم الحياة الاجتماعية بشكل يحدد الأدوار والمهام والأهداف وهو النموذج الميداني لوظيفة المجتمع المدني الذي تكون مخرجاته تقليص فرص الاصطدام والاحتكاك العنيف بين مكوناته حسب تحليلات نموذج نشر الابتكار لروجرز وشوماكر،(راجع كتاب عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005)، والعمل لأجل خدمتها لصالح الدولة التي تنظم وتدير شؤون العامة، وكلما زاد ذلك النمط بتلطيف تعقيدات الأمن المجتمعي يتحول إلى فرضية أكثر تبني ألا وهي الانتقال إلى مستويات عالية من الاستقرار والسلم الأهلي والتطور المنشود، لأن ذلك يعزز الإدراك الأخلاقي والقانوني والثقافي في تدريب وتهذيب النفوس وإقناع الناس على احترام المؤسسات الرسمية والقانونية التي تمارس عليهم إدارة شؤونهم ومن جهة أخرى

بعيدا عن الفساد والتسلط والتهميش مقابل حجم مقبول من الخدمات التي يتلقونها ويتصرفون وفق أهداف تخضع للقيم البيئية يشاركون في صياغاتها وفق الحاجات المستهدفة بواسطة عملية الإشباع التي تبرز واقع النزعة الغائية في السلوك الاجتماعي، الذي يزيد في بناء قيمة الأمن والتنمية لاعتبارهما عاملان جوهريان يحفظان الوجود الإنساني في كل الأزمنة ويزيدان في قيمة التنمية المستدامة. (عامر، 2015، ص ص 222-223).

5. نقد نظرية التطور الاجتماعي لابن خلدون.

سعت الكثير من الكتابات العلمية إلى تحليل وتفسير أبرز المآخذ والانتقادات التي وجهت إلى أطروحات ومناهج ابن خلدون بهدف الإصلاح والتقويم العلمي، في طريقة معالجة قضية العصبية والقبيلة والعمران البشري وتطور الأمم الذي عده ابن خلدون كعلم جديد للتاريخ وأنه خبرا عن الاجتماع الإنساني الذي كان رائدا فيه حول مراحل بناء الدولة واندثارها، فابن خلدون هو ابن بيئة وثقافة إسلامية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية التي ألهته أن ينتهل ثقافات من أمم أخرى بفعل الاحتكاك والتعايش عن قرب وتنقلاته الكثيرة وتقلده مناصب متنوعة أوسمته التجربة أن يتميز بالنزعة النقدية التي اشتركت في تشكيلها عدة مصادر، لكن المنظور الأكاديمي الحديث للنظرية التاريخية تعد مقارنة لفهم الظواهر المجتمعية والسياسية واختراقها وتفكيكها وتحليلها بمقاربات جديدة تساعد إلى فهم وإدراك أعمق وأوسع لأجل التنبؤ لمستقبلها وهو الفراغ الذي رأوه المفكرين المعاصرين أنه لم يتوسع فيه ابن خلدون بعناية أكبر أي نوقشت أفكار ابن خلدون من حيث المفاهيم وليس النقد في المناهج والدراسة المنهجية للتاريخ، ومن جهة أخرى أصبحت مصداقية العلوم المعاصرة تتبنى نظام الموضوعية والنقد النزاهة لفوائده الكثيرة من أجل تنقيح أهم الدراسات وترويض العقبات والتحديات وتحبيد الغموض المعرفي والمفاهيم والمعارف والمصطلحات وتحسينها وموازنتها بطرح إبستمولوجي جديد والكشف عن مواطن القوة والضعف وتصويبها، ومن أبرز الانتقادات التي تعنى بها دراستنا هي الدلالات العلمية

والمعرفية التي طرحها عبد الرحمن بن خلدون حول تطور المجتمعات ونظرية العمران والمنهج التاريخي في تحديد مفهوم العصبية، التي بين فيها أن المجتمعات البشرية تسير وفق قواعد مضبوطة ومحددة لا تتحكم فيها المتغيرات وهذه القوانين تفتح المجال على قدر كبير من التنبؤ بالمستقبل من حيث تطور الحضارات وانهارها التي أكد أنها قائمة وشبهها بنمو الطفل وتكوينه وبداية ضعفه وفناءه، هذه الرؤية بازغة المعالم في جانبها النظري لكنها تتشابه مع واقع الثورة المعرفية المعاصرة ومفهوم علم الإدارة والحوكمة، والحكومة الإلكترونية والعولمة وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من المصطلحات التي تسير في فلكها دول العالم اليوم، ومدى بقاء صلاحية مفهوم القبيلة والعصبية في اختراق المفاهيم ذات الصلة الحديثة التي طرح في مكانها مفردات مثل اللحمة الوطنية والمجتمع المدني وجماعة النخب ومقرب الجماعة وغيرها... التي أصبحت جزء من المفاهيم الإجرائية في بناء قوام الدول والمجتمعات المرتبط بتجسيد الهوية السوسيولوجية التي كانت غير موجودة إبان فترة ابن خلدون. (زبيدة، 2016، ص ص 210-212).

الذين انتقدوا ابن خلدون يرون أنه بالغ في الدعوة إلى الاعتماد على قانون المطابقة بين الروايات التاريخية والثابت من التأريخ والواقع الطبيعي فدعا إلى استخدامه كقانون أساسي رغم أن قانون المطابقة له أهمية بالغة في النقد التاريخي لكن المبالغة في فرضه وإلزامه هو الذي أنتج له معارضات نقدية معاصرة، فابن خلدون عايش العصر الوسيط ولم تزخر في حقبته المجتمعات والدول مفهوم الحضارة والعصبية مفهوما عموديا بل أفقيا رغم أصوله العربية لم يتعاطف في نقده للأعراب ولم يتجنّ عليهم لتهميشهم السلوك المدني الحضري، وكان في معظم كتاباته ينتقد أوهام العقل وأوهام النفس الإنسانية التي تستقر حياتهم في بيئة ضيقة محدودة فكان بذلك يستعمل صفة التغليب وليس التعميم الكامل، فابن خلدون جسد الحضارة بالدولة من وجهة نظر أنها مرحلة نهاية العمران وهذا غير دقيق في المصطلحات والمفاهيم الاجتماعية العلمية الحديثة، فكان التقلب في المفاهيم من أهم

الأسباب التي أدت إلى ظهور انتقادات على فكره، إنه لا يمكن فهم فكر ابن خلدون وانجازاته وحصافته وعمق بصيرته دون فهم نظريته في العصبية ووظيفتها السياسية والاجتماعية، فهذه الانتقادات لا تسقط المصطلح الخلدوني من قامته وعلمه ومكانته ومنهجه وانجازاته الفكرية والاجتماعية الذي يعترف له أنه صاحب أول ثورة منهجية في الدراسات التاريخية، (السعيدة، 2014، ص 500)، كما أن النخب الفكرية المعاصرة ترى أن التغير الحديث أعطى مفهوم العصبية بمصطلح آخر وهو التوافق المجتمعي ومقرب الجماعة الذي ابتكره آرثر بنتلي الذي رسم الانتقال بهذا الحقل من الطرح التقليدي إلى الطرح المنهجي السلوكي وديفيد ترومان الذي ركز أن الجماعات كنظم عضوية تحافظ على بقائها في توازن مستمر من خلال التغير والديناميكية الاجتماعية، وبالتالي لا يمكن لأي بحث يستهدف فلسفة الفكر الجديد أن يستغني عن الدراسة المتأنية للتكوين الاجتماعي، وتبقى الفرضيات السابقة جزئية أي إنشاء تفاهات عامة بين الطبقات البنيوية المختلفة للمجتمع بهدف تفسير الإنتاج السوسولوجي للمعرفة ومن العلم الجديد الذي ينتقد حتمية العلوم ويعزز من نظرية الاحتمية في إنتاج العلوم والمعرفة وتثبيت منهجها الدائم. (Mohamed, 1994, p120).

هذا كله مرتبط استراتيجي في بناء الهوية الاجتماعية والسياسية والاتصال مع السلطة الرسمية وبناءها والحفاظ عليها واستمرارها عبر أجيال متلاحقة لا نهايتها، من هنا تبدأ الانتقادات في حق تنبؤات ابن خلدون مبدئيا رغم ايجابية علمه ومنهجه وانجازاته العلمية والمعرفية الوافرة بدءا من كتاب المقدمة، كما أنه لا يمكن إدماج كل منتجاته وأفكاره كليا مع المفاهيم المعاصرة التي ارتبطت بالحضارة المادية وطغى عليها عدة استعمارات مثل العولمة والاقتصاد المعرفي والحكومة الإلكترونية والتكنولوجيا والرقمنة والذكاء الاصطناعي والمؤسسات المالية الدولية الكبرى وفضاء الانترنت ومخلفات الأعراف والمعتقدات بل يقتضي التكيف مع عالم الأفكار الذي طرحه مالك بن نبي، متغيرات تؤكد

موضوعيا النقد البناء في حق أطروحات ابن خلدون ومدى تصادم أفكاره مع الواقع المعاش للعالم العربي والغربي رغم غزارة فكره وعلمه.

5. خاتمة

استخلاصا من كل هذه التحليلات والتفسيرات والمقاربات يتبين أن الظواهر الاجتماعية في نظر ابن خلدون والذين سبقوه أو الذين واكبوا أفكاره أو الذين أتوا من بعده يرون أن المؤسسة الاجتماعية شديدة التعقيد وسريعة الحركة والتطور وقابلة للتكيف مع المفاهيم والأفكار بأنواعها المختلفة منها الظاهرة السياسية والاجتماعية والتربوية الدينية والحضارية والثقافية، ومن جهة قابل للنقد لأنه يتشابه مع المتغيرات الفكرية والثقافية الجديدة التي تقوي السلوك السوسيولوجي للفرد والمجتمع، فالاتجاه المعرفي يتقوى واقعا من خلال نظرية التعلم الاجتماعي ونظرية التوازن المعرفي ونموذج نشر الابتكار لروجرز وشوماكر التي طرحت في سبعينيات القرن الماضي، كما يتعزز أكثر الاتجاه النفسي الاجتماعي على مضامين العلاقات والتنظيم الاجتماعي ونظرية الإقناع والتأثير الانتقائي للسلوكات من خلال المفاهيم الأساسية للنظرية الخلدونية للتطور الاجتماعي، التي تتمحور على العمليات الإبدالية التي طرحها ألبرت بان دورا وهي أن جميع الظواهر التعليمية تحدث على أساس تبادلي من خلال ملاحظة سلوك الآخرين من خلال تقييم وتقويم عملية التنظيم الذاتي، نظريات ومقاربات تقوي منظورات ابن خلدون في التواصل مع فكره الذي شخّص المجتمع الإسلامي والعربي من مبدأ منهج تاريخي كعلم قائم مبني على القواعد والإثبات والمنهج المقارن ورؤية إمبريقية قابلة للتجسيد، فابن خلدون أحدث ثورة فكرية وسلوكية وثورة منهجية في دراسة التاريخ وأعاد دور العقل وتنويره وإخراجه من القصور والتكلس واغتياله من الإبداع بالفحص والمراجعة والتجديد المنطقي المتوازن وخلق ثورة نقدية موضوعية في ترقية الفكر العربي والإسلامي نحو أفق المعرفة، منظورات ناعمة تحتاج إلى التنقيح والتكيف مع المتغيرات وتحديد بعضها إذا كان لا يتناسب مع متطلبات الوجود الإنساني والحضاري

والقيمي في ظل التحديات المعاصرة التي تمر بها المجتمعات العربية حسب المكان والزمان للأجيال اللاحقة القابلة لبناء ذاتها انطولوجيا في بيئتها الحركية وصيانة منظوماتها الفكرية والهوياتية والتاريخية والدينية والمعرفية، التي ينبثق منها احترام الرأي العام وإطلاق الحريات الفردية وتثبيت القيم والمعايير من أجل تجسيد فعالية الحكم الراشد والحوكمة المؤسسية والتنمية المستدامة رأس أولويتها تنمية الموارد البشرية.